يضرب الكنار ، ابناء الايامي
من سدوم

ويتحول الانسان العربي الى عكس ما كان عليه عند انبثاق الدعوة الاسلامية . فهو لم يعد مندفعا الى حماية بيت المقدس وافتدائه بروحه ، ولم تعد تشتعل فيه حمية من يثور على العار ويرفض وجوده ، ولم يعد يهمه الاخذ بثأر من استبيح من الضحايا . هو بايجاز نقيض البطل العربي في الفتوحات الاسلامية حين كان يؤمن ان بينه وبين الجنة لحظات يختصرها رمح يستقر في صدره فيستشهد في سبيل ما يؤمن به من مبادىء . لهذا كانت الدعوة الاسلامية ولادة حضارة وكانت حرب حزيران تكريسا للموت والاضمحلال ، وكان الانسان الذي خاض حرب حزيران ميتا ولم يمت في الحرب فانتفت بذلك المأساة ، ولم تكن حربه حرب بطولة بل كانت ذلا وسقوطا ، يقول :

ما حماة البيت ، والعار يغني
والضحايا تستباح
لم تر الجنة في ظل الرماح
ويظل العار حيا في جفون الميت
حيا
تجلد الميت رؤاه وتذله
لن تروي قبره
رائحة الغار وظله

لكن الشاعر هو نفسه يحس بالعار ، ويقف حائرا غير متأكد اذا كان احد غيره يعي هذا العار ويتألم منه . فيكون الشاعر بذلك رائدا يتخطى وعيه وعي الجماعة الراكنة الذليلة التي لا يؤثر فيها شعور بالذل . وتتكرر صور الموت في مخيلة الشاعر فتكون ايامه ولياليه المؤرقة سلسلة من الجنازات الصاخبة . ويسيطر ظلام كلي : فبديل أن يحمل الصبح شمسا منبعثة فتية يأتي بجنازات متتابعة يبدو كأن ليس لها نهاية ، وتخمد العزة العربية التي طالما التمعت في الجباه ، ويسقط السيف عاجزا محطما ، وتلف العالم العربي من محيطه الى خليجه غلالة حداد سوداء لا يتراءى خلالها غير ضفة نهر الاردن الذي كان يوما رمزا لانبعاث المسيح في المعمودية فغدا مع هزيمة حزيران صورة اخرى من صور موت متحجر يرفض الانبعاث . ويحس الفلسطيني المشرد وحده بالاضافة الى الشاعر الم الهزيمة ، لان الفلسطيني — كما يبدو في القصيدة — لم يمت وان لم يكن فاعلا . فما زال في داخله بصيص امل بالعودة يدفعه للاحتفاظ بمفتاح داره وان صدىء لطول الانتظار . لذلك يسمي الشاعر الفلسطينيين « بالعائدين » ، لانه يؤمن ايمانا يقينيا بانهم لا بد ان يعودوا . يقول :

ما لثقل العار !
هل حملته وحدي
وهل وحدي ترى كفنت وجهي بالرماد
الجنازات التي يحملها الصبح
تدوي في جنازات السهاد
الجباه انطفأت وانطفأ السيف
واشواه البروج